Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكتـابة عن الطـين

تاريخ مصر هو تاريخ فلاح مصر · وتاريـخ فلاح مصر هو تاريـخ العطش الدائم للأرض · فمصر ـ كغيرها من الدول الشرقية الممتدة من الصحراء الكبرى الى الهضبة الآسيوية الصينية الوسطى ـ لم تعرف الملكية الفردية للأرض الا في فترات قليلة نادرة من تاريخها الطويل الحافل ، لاعتماد الزراعة بها ـ كما اكتشف آدم سميث ـ على الرى الاصطناعى الواسع مما أدى الى احتكار الحكومات المركزية للأرض · وهنا مفتاح الشرق كله كما يقول كارل ماركس · هنا يوجد تاريخه السياسى والدينى · ومع ذلك ·· فمعظم الذين كتبوا عن « الطين » لم يكونوا من « شيالين الطين » · كانوا من أبناء الطبقة المتوسطة ، فأطلوا عليه من الحارج اطلالة المتفرج ، أو من عل اطلالة المتعاطف · ولهذا تحول الفلاح المصرى فى أيديهم الى عود حطب هش « مخوخ » لا يعرف عصارة الحياة ، حتى لو تبنوا قضايا، بدءا برواية : « زينب » (١٩١٤) لمحمد حسين هيكل ، وليس انتهـاء برواية : « الأرض » (١٩٥٥) لعبد الرحمن الشرقاوى ·

كنت قد قرأت قصص روميش التى نشرها بمجلة « المجـلة » : « النشيد من الأفق الغربى » (١٩٦٧) ·· « كل شيء حقيقة » (١٩٦٨) و « الليل ·· الرحم » (١٩٦٩) ·· وتخيلته جنديا من جنود معـركة « التل الكبير » استطاع أن يتخفى فترة من الزمن شأن عبد الله نديم ، ويعود من جديد ليكتب بالفأس والبندقية ، صـفحات مروية بالشادوف والساقية عن طغيان « السلطة » وبطشها بماء أحمر قان هو ماء الحياة ·· هذه السلطة التى اختطفت زهرة شبابنا ابان الحرب العالمية الأولى لتمهيد الطرق لجنـود الامبراطورية العظمى ومد خطوط السـكك الحديدية التى تربط جنوب الشام بشماله · كانت تجربة : « النشيد من الأفق الغربى » تجربة صادقة وعميقة · كانت تجربته الخاصة جدا باعتباره فلاحا مصريا تعتمل داخله تجارب أسلافه عبر آلاف السنين ، وتستدعى كل العذابات المصرية منـذ ما قبل تعـذيب الرومان للأقباط بالزيت المغلى حتى حفر قناة السويس ·

ما أن شاهدت روميش حتى هالنى أنه لا يختلف كثيرا عن الصورة التى تخيلتها له بعد قراءة قصصه · كان ذا جبهة عريضة ينقصها الطربوش المزحزح قليلا الى الخلف ليقبض عليه وينفى الى سيلان · وكان بنيانه